همّة الشيوخ

يؤخذ من مراجعة تواريخ المشاهير من العلماء ان كبر اعمارهم لم يخفض من همهم ولا اضعف قواهم العقلية بل ان كثيرين من اشهر مشاهيرهم ظهروا للعالم واشتهروا بعد ان جاوزوا سن الكهولة ودخلوا طور الشيخوخة . وامثلة ذلك كثيرة تأتي على بعضها تأييداً لما تقدم

فمنهم كنت الفيلسوف الالماني كتب كتابهُ المعنون " بحث في العقل المجرّد " وهو في سنّ السابعة والخمسين وهو كتاب مفعم تصورات وافكاراً سامية حتى لم يقم بين العلماء بعدهُ سوى نفر قليل أدرك كنهها . وكتب كتاباً آخر لا يقلّ عن الكتاب المذكور آنفاً علماً وسموّ فلسفة وهو في سنّ السبعين

ومنهم لابلاس الرياضي الفرنسوي نشر اوائل كتابهِ المسمى " نظام العالمين " وهو في سنّ الخمسين ونشر الباقي منهُ وعمرهُ سبعون سنة . وهو الكتاب الذي بسط فيهِ رأيهُ في المذهب السديمي فاقام العلماء واقعدهم لاول الامر ثم صار المذهب المقبول عند الاكثرين الى الآن هذا في علم الافلاك او تكوّن العالمين واما في الجيولوجيا فاشهر من اشتهر السر تشارلس لَيل ومعظم ما كتبهُ فيها كان بعد ان جاوز الاربعين واكمل تنقيح كتابهِ " مبادي، الجيولوجيا " قبل موتهِ بثلاثة ايام ومات وهو ابن ٧٨ سنة . وكتابهُ هذا لا يزال الى اليوم حجة يرجع الجيولوجيون اليهِ ليهتدوا بمشكاتهِ حتى لقد لُقّب بابي الجيولوجيا ومبدعها

وفي طليعة علماء البيولوجيا تشارلس دارون قضى شبابهُ ومرحلة من كهولتهِ ينقب وينقّر حتى سنّ الخمسين فنشر كتابهُ " اصل الانواع " المشهور وهو الكتاب الذي حام عليهِ الجدال واشتدّ النضال بما لم يعهد في كتاب قبلهُ ولا بعدهُ . ثم كتب كتاب " تسلسل الانسان " وهو في الثانية والستين فكان مثل كتابهِ الاول شهرة وانتشاراً وتأثيراً

ومنهم الفيلسوف هربرت سبنسر فانهُ توفي وعمرهُ ٨٣ سنة ولما بلغ الاربعين من عمرهِ لم يكن قد نشر شيئاً من مؤلفاتهِ المشهورة . فلما بلغ الثانية والاربعين نشر كتاب " المبادئ الاولى " ونشر كتاب " مبادى، الفلسفة العقلية " وهو ابن اثنتين وخمسين سنة و" مبادى، علم الاجتماع " وهو ابن ست وخمسين وكتاب " العدل " وهو ابن احدى وسبعين وهذا الكتاب من اسمى ما الفهُ في الفلسفة الادبية . ولما بلغ الثمانين اتمّ آخر كتاب من فلسفتهِ المشهورة المعروفة بالفلسفة التركيبيّة ولم تكلّ قريحتهُ ولا نبا سيف دماغهِ

واشهر ساسة الاميركيين وفلاسفتهم بنيامين فرنكلين اخذ صيتهُ يمتدّ في السياسة

والفلسفة بعد ان جاوز الستين . وبلغ الثمانين وهو في مناصب الحكومة يطلب الاعتزال وهي تضنُّ بهِ حرصاً على خدمتهِ

واكتشف كولمبس اميركا وعمرهُ ٥٦ سنة ودار مجلان حول الارض وعمرهُ ٤٩ سنة واكمل جيتي الشاعر الالماني كتابة " فوست " وعمرهُ ٨٠ سنة . وعمر اللورد كلفن الآن ٨١ سنة ولا يزال يشتغل بالطبيعيات والرياضيات بهمة لا تعرف الملل ولا الكلل واكتشافاتهُ فيهما ابتدأت بعد ان بلغ الاربعين . واتم ما كتبهُ في سلك البحار والمادة والفلسفة الطبيعية والجيولوجيا بعد ما جاز الستين

واكتشف فاراداي تأثير المغنطيسية في استقطاب النور وهو بين الخمسين والستين من عمرهِ . وكتب جون فسك كل ما كتبهُ في التاريخ بعد الاربعين واهمها ما كتبهُ بعد ما تاهز الخمسين . وكسب فندربلت ١٦ مليون جنيه بعد الخامسة والسبعين . وبيبر بنت مورجان الغني الاميركي الشهير حيٌّ يرزق وعمرهُ ٦٨ سنة واعظم اعمالهِ تأليف شركة الفولاذ (الصلب) وهي اعظم شركة صناعية في الدنيا الفها بعد ان بلغ السبعين . وعمر كارنجي ٧٠ سنة وقد جمع ملايينهُ الكثيرة بعد ان جاوز الخمسين ولا يزال الى الآن متوقد الذهن اذا تكلم فالعالم كلهُ يسمع كلامهُ . والدكتور ويرمتشل في السادسة والسبعين مارس صناعة الطب زمناً طويلاً وفاق بها الاقران ثم مال الى الانشاء وهو ينشئ الآن الروايات البديعة فيكتسب من الرواية منها يكتبها في شهر من الزمان الوف الريالات ان لم نقل الوف الجنيهات (انتهى ملخصاً من مقالة في مجلة العلم العام)

فهذه الشواهد وامثالها دلائل ناطقة على ان كبر السن لم يؤثر في كبار الرجال فلا أضعف لهم همة ولا قلل عزيمة ولا اطفأ نور قريحة وقادة . اما نحن فنرى الواحد منها اذا جاوز حد الاربعين تمثل بقول عنترة

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

وقعد عن السعي يندب شبابهُ وقد بلغ الثمانين وهو في صحة وعافية يحسد عليهما ولو ابدى بعد الاربعين بعض ما ابداهُ من السعي والهمة قبلها لانجز في كهولتهِ وهرمهِ ما لم ينجزهُ في شبابهِ . ولعل في ما تقدم تعزية لمن خانهُ السعد ولزمهُ النحس شاباً فيئس وقطع كل امل بالنجاح كهلاً . ولا بعد ان يكون معظم السبب في نجاح الكهول والشيوخ خلوهم من مشاغل الشباب وانصرافهم بكليتهم الى ما فيهِ مصلحتهم دون لذتهم واهتمامهم باعداد ما يعولون بهِ انفسهم وعيالهم اذا اقعدهم المرض او الهرم عن السعي والعمل في أخريات العمر